



أحمد إبراهيم محمود [وآخرون]

حال الأمة العربية ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧:

أزمات الداخل وتحديات الخارج

تحرير أحمد يوسف أحمد ونيفين مسعد
(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧). ٢٤٠ ص.

جمال زهران

رئيس قسم العلوم السياسية - جامعة قناة السويس.

يميّزها ليس باعتبارها موئل حضارات العالم بأسره فحسب، بل منبت البشرية جمعاء. ولذلك، فإن اختيار الباحثين لإعداد التقرير، مدخل أزمات الداخل وتحديات الخارج، لوصف حال الأمة العربية من عام ٢٠٠٦ وإلى ربيع عام ٢٠٠٧، هو اختيار موفق لاعتبارات تتعلق بطبيعة الأحداث الداخلية التي تتعرض لها الأقطار العربية، أو جملة التحديات النابعة من البيئة الدولية التي تشكل عامل ضغط مستمراً على «أعصاب» الأنظمة الرسمية العربية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لإحداث تغييرات معينة قد تسهم في تسويق وتعزيز المصالح الأمريكية والغربية عموماً. فعلى مدار ٢٤٠ صفحة، جاء تقرير حال الأمة العربية، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ الذي حرره د. أحمد يوسف أحمد ود. نيفين مسعد، وشارك فيه تسعة من رموز الفكر القومي من ذوي المدارس العلمية المتقاربة، كل في مجال اهتماماته

يعدّ الصدور المستمر لتقرير دوري يتضمن عرض وتحليل حال الأمة العربية على مدار عام كامل من العلامات الإيجابية التي تضيف رصيماً أكاديمياً يتسم بالرصانة ويهدف إلى تحقيق فائدة كبيرة للباحثين المهتمين بالشأن العربي، والمهمومين بقضايا أمتنا العربية. ويبقى دائماً الخلاف حول التفاصيل وبعض القضايا التي تضمنها التقرير أو أغفلها وفقاً لرؤية المكلفين بإعداده، والذين يستحقون الشكر والتقدير على جهودهم المتميزة التي أدت هدفها المتوافق مع عنوان التقرير وغايته.

وفي الواقع، فإن الأمة العربية في الإطار العام ليست نشازاً أو خارج السياق، فهي جزء من عالم يمجج بالتحويلات الكثيفة، وهي جزء مهم من خريطة العالم من حيث الموقع الاستراتيجي والثروات الأساسية، كما إن تراثها التاريخي يكاد

وواضحة. وقد غطى هذا الجزء أربعة تطورات مهمة هي:

١ - حدوث ارتباك شديد في الممارسات الإمبراطورية للولايات المتحدة، كان أبرزها التورط في الحرب ضد العراق، والفشل في أفغانستان، الأمر الذي أعاق الاستمرار في تنفيذ الإدارة الأمريكية حملتها في تلك المناطق الحيوية من العالم، خاصة أن الشعب الأمريكي أصبح من الصعب تضليله وخداعه.

٢ - تجاوز الصين ما كان متوقعاً من حيث قدراتها العسكرية والاقتصادية، بعد أن كانت تتبع أسلوب الزحف الهادئ المتدرج والناعم والأخطبوطي. وقد شهد عام ٢٠٠٦ خروجاً عن ذلك بإطلاق صاروخ قادر على تدمير قمر صناعي في الفضاء، وهو ما يُعدّ رسالة إلى العالم بأسره بما في ذلك الولايات المتحدة.

٣ - تقديم الهند نموذجاً في مجال صنع شبكة علاقات دولية في عالم متغير، وفي التوازن، وبشكل خاص في إطار بناء علاقات واسعة مع الولايات المتحدة (عقد اتفاق شراكة نووية)، ومع الصين، ومع روسيا (اتفاق شراكة للتصنيع العسكري المشترك والمجال النووي)، حتى أصبحت في صميم جهود بناء نظام جديد لتوازن القوى في آسيا.

٤ - بدء استعادة روسيا مكانتها بعد أن استطاعت قيادتها السياسية الراهنة في سنوات قليلة تجاوز التراجع الذي شهده عهد يلتسين، إذ ركزت روسيا على استعادة إرادتها في العمل الدولي كهدف محدد، وهو ما ظهر خلال عام ٢٠٠٦، عندما

العلمية الرصينة، ليعطي جملة من الأحداث والتحويلات التي تعكس واقع محاولات الهيمنة والسيطرة الأمريكية على هذه المنطقة الحيوية من العالم.

وقد جاء التقرير ليتناول، بخلاف الخلاصة التنفيذية والتمهيد والخاتمة، تسع قضايا أساسية هي في مجملها تمثل العمود الفقري للتحويلات والمتغيرات في واقع الأمة العربية، ولكنها تبقى عبر اختيارها تسجيداً لرؤية فريق عمل إعداد التقرير من منظور المنهج الانتقائي في التركيز على قضايا معينة دون غيرها. فعلى الرغم من اختيار قضايا محنة النظام العربي، ومعضلة الديمقراطية في الوطن العربي، وتطور القضية الفلسطينية، وقضية لبنان في سياق الحوار والحرب والاحتمالات المفتوحة، وقضية العراق بين النصر والهزيمة والوحدة والانقسام، وقضية السودان، ورهان الدولة الوطنية، وقضية تحولات المسألة الصومالية، ثم قضية أداء الاقتصادات العربية عام ٢٠٠٦، إلا أنه لم يغيب عن فريق إعداد التقرير أن مثل هذه القضايا لا يمكن النظر إليها على رغم إقليمية بعضها في الأساس إلا في ظلّ تطورات البيئة الدولية المحيطة بالنظام العربي. ولذا يصبح من الخطأ النظر إلى تطورات النظام العربي ومعضلاته المختلفة خارج السياق العالمي أو بمعزل عنه، وهي رؤية منهجية تمّ التأكيد على سلامتها وصدقيتها.

ومن هنا تبرز أهمية الجزء الأول من هذا التقرير بعنوان «السياق العالمي»، والذي يقع في نحو عشر صفحات مركزة

ويقدم لبنان نموذجاً في المقاومة والتصدي للغطرسة الصهيونية، وجاءت أحداث صيف ٢٠٠٦ لتؤكد قدرة المقاومة العربية، إذا ما توافرت لها القيادة والفرصة التاريخية من تحقيق التفوق، الأمر الذي يفتح مجالاً لإعادة بناء الثقة بقدرة الشعوب على اختيار طريق حريتها وكرامتها.

كما إنَّ صمود السودان في مواجهة الهيمنة الأمريكية والحيلولة دون التدخل والاحتلال لإقليم دارفور تحت غطاء التدخل الإنساني من شأنه تعزيز إرادة النظام العربي، على رغم كلِّ الإشكالات والتعقيدات والتدخل الخارجي في هذه المسألة.

وعلى الصعيد الصومالي، فإن ظهور المحاكم الصومالية على الساحة وسيطرتها على الأوضاع كان مؤشراً إيجابياً تعرض للاهتزاز المؤقت بالتدخلات الإثيوبية المدعومة عربياً، ولكن مصير ذلك إلى زوال في ظلِّ تحولات ميزان القوى.

أما عن أداء الاقتصادات العربية عام ٢٠٠٦، فقد خصص التقرير حيزاً للحديث عن الواقع العربي في هذا الإطار، إذ شهد الناتج العربي زيادة غير مسبوقه نتيجة زيادة أسعار النفط، إلا أن استمرار غياب اعتبارات العدالة في توزيع الموارد وتحقيق التنمية داخل الأقطار العربية يعكس جوانب من المحنة الدائمة للنظام في مواجهة وملاحقة التحولات الاقتصادية التي يعيشها العالم اليوم.

أعلنت عن استعدادها لمواجهة انفراد وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي ظلِّ هذه التطورات في النظام الدولي، يأتي الحديث عن النظام العربي الذي يصعب أن يكون بمنأى عن هذه التحولات، ولكن على ما يبدو أن الأطراف الدولية الصاعدة غير مبالية بدرجة كبيرة للتدخل في الشرق الأوسط عموماً، وبمشاكل النظام العربي خصوصاً، إذ كانت كل محاولات الاقتراب أو الاهتمام مشوبة بالحذر، وخاصة أن الأقطار العربية تسلَّم بعض إرادتها أو كاملها للدولة المهيمنة، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عما يشهده هذا النظام من عجز متفاقم نتيجة التفكك الداخلي والاختراق الخارجي. وعلى الرغم من إنجازات قوى المقاومة في لبنان والعراق وفلسطين، إلا أنَّها لم تستطع حسم الصراع لصالحها.

ولعل من يقرأ هذا التقرير بعناية فائقة يشيد بتلك الانفراجة على رغم محدوديتها في التحول والتغيير في النظام العربي من خلال قضاياها المختلفة. ف الديمقراطية تتحرك ولو بدرجة بطيئة مملَّة، إذ تحاول قوى التغيير الضغط على الأنظمة الرسمية للاستجابة لتسريع التحول نحو الديمقراطية، والحراك والصراع قائمان، ولم يصلا بعد إلى المواجهة الحاسمة أو الانفجار. كما إنَّ القضية الفلسطينية، وإن شهدت ركوداً، إلا أن ظهور نجم حماس قد حرك المياه الراكدة، وأسهم في إعادة الاهتمام بالوضع الفلسطيني بشكل عام.

(إرهاصات تحول)، كما ورد في عنوان الخلاصة التنفيذية في بداية التقرير. وربما تفضي هذه الإرهاصات إلى أعاصير التغيير المتوقعة، أو إلى سكون هيكلي مستمر، استمراراً لأوضاع عَفَّ عليها الزمن، وهو الأمر المكروه ■

ولا شكَّ في أن هذا التحليل الرصين والرصد الأمين لواقع حال الأمة العربية عام ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ بين أزمات الداخل وتحديات الخارج، ومن واقع القضايا التي تناولها التقرير بالرصد والتحليل، يعكس المشهد العربي، وكأنه قد تركز داخل كادر

صدر حديثاً

ثورة الصورة المشهد الإعلامي وفضاء الواقع

مجموعة من الباحثين

تُعنى البحوث التي يضمها هذا الكتاب بدور وسائل الاتصال واتساع دائرة التأثير المباشر للإعلام ووظائفه في صياغة أسلوب حياتنا اليومية، وبيان الصيغ المختلفة للرسائل الإعلامية، ومدى القدرة الفاعلة في ممارسة الرقابة والملاحظة.

والميزة البارزة في هذه البحوث تكمن في أنها تكشف، عبر مقاربات منهجية، المستور عن واقع الصحافة العراقية في زمن الاحتلال الأمريكي، ودور وسائل الإعلام في الانتخابات، وحروب المعلومات الإعلامية، ودور الفضائيات، في تحقيق الوعي لقيم المجتمع المدني، مع رصد انتقادي لتلفزيون الواقع في المنطقة العربية، إضافة إلى العناية بإشكاليات علوم الإعلام والاتصال وانعكاساتها على واقع البحوث العربية.

ولعل الأهمية المنهجية التي تستوجب الإشارة إليها هنا هي أن هذه البحوث تتنوع من حيث طرائق البحث، لكنها تندرج في وحدة الهدف، أي قدرة الإعلام في التأثير



١٧٤ صفحة

الثمن: ٦ دولارات

أو ما يعادلها